

تاریخ الاستلام: 2024/09/19



✉ إبراهيم طبشي
tobchi.brahim@univ-ouargla.dz
جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ الجزائر

The words of “mawadda” in the Holy Qur’an -semantic and pragmatic study-

✉ TOBCHI Brahim
tobchi.brahim@univ-ouargla.dz
Kasdi Merbah University ouargla
- Algeria

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تتبع مادة "ودد" في القرآن الكريم والوقوف على دلالاتها حسب السياقات المختلفة، وما تحمله من طاقة حجاجية، وهو يجيب عن إشكالية مفادها: ما الصيغ الصرفية التي تجلت من خلالها مادة "ودد" في القرآن الكريم؟ ما دلالاتها المختلفة؟ وهل كانت سلبية أم إيجابية؟ إلى من كانت نسبتها؟ هل كانت نسبتها إلى المؤمنين أغلب أم إلى أعداء الأمة؟ وقد توصل البحث إلى أن أكثر الصيغ كانت الفعل المضارع ثم المصدر الميمي "مودة" ثم الفعل الماضي وأخيراً صيغة المبالغة والمصدر المجرد. أما دلالة هذه المادة فكانت غالباً سلبية وخاصة مع الفعل الماضي والمضارع، وباستثناء صيغة المبالغة "الودود" التي دلت على صفة من صفات الله الحسنى والمصدر المجرد "ود" الذي وعد الله به المؤمنين.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ المودة، إشارة نفسية، القرآن الكريم، دراسة دلالية، تداولية

ABSTRACT:

This research aims to study the word "wadda" "ودد" in the Holy Qur'an, and to understand its meanings, according to different contexts, and the power of argument in it. the problematic of article: what are the morphological forms through which the word "wadda" appears in the Holy Qur'an? what are its different meanings? What are its argument dimensions? The research found that the most common forms were the present verb, then the source of letter -م- "مصدر ميمي" "mawadda", "مودة" then the past verb Finally, the intensive form and the bare infinitive, the significance of this word was often negative, especially with the past and present verb, With the exception of the intensive form "الودود" which indicates one of God's best names, and the bare infinitive "الودود" which God promised the believers.

Keywords: expressions of "mawada," psychological signal, the Holy Qur'an, semantic, pragmatic study.

مقدمة:

القرآن الكريم مليء بالإشارات النفسية التي تصور ما يدور بخلد إنسان، وقد تكون هذه المشاعر شيئاً محموداً يثمنه القرآن وينبه إلى أهميته، وقد تكون على العكس من ذلك مشاعر سوء وبغضاء يحذر القرآن منها وينبه إلى خطورتها وخطورة أصحابها. من هذه الألفاظ لفظ ما كان مشتقاً من مادة "ودد"، وقد بلغ تواتر هذه المادة في القرآن ثماني وعشرين مرة، فما دلالات هذا اللفظ حسب السياقات المختلفة الذي ورد فيها؟، وما علاقته بمن أسند إليهم؟ هل كانت نسبته إلى المؤمنين أغلب أم نسبته إلى الكافرين والمشركين؟ في أي مجالات الأفعال الكلامية كان حضوره؟ وما الأبعاد الحجاجية التي يمكن الوقوف عليها من خلال ذلك؟ هذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه

قبل أن نشرع في استعراض ما ورد من هذه الألفاظ وتحليلها دلالياً وتداولياً، نقدم إحصاءاً لصيغها الصرفية:

- 1 - وردت فعلاً ماضياً سبع مرات
- 2 - وردت فعلاً مضارعاً عشر مرات
- 3 - وردت صيغة للمبالغة مرتين
- 4 - وردت مصدراً ميمياً ثماني مرات
- 5 - وردت مصدراً مرة واحدة

1 - ورودها فعلاً ماضياً:

ورد هذا اللفظ فعلاً ماضياً في سورة البقرة مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" ينتهي هذا الفعل الكلامي إلى مجال الإخباريات، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن كثيراً من أهل الكتاب يتمنون أن يصرفوهم عن توحيد الله والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، والدافع إلى رغبتهم هذه ليس النصيح لهم، أو الاقتناع بأن الدين الذي جاء به محمد باطل، وإنما الدافع إلى ذلك هو الحقد والحسد، "والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتديراتهم كلها وما تزال، وهو الذي كشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم، وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه، والذي أنقدهم الله منه بالإيمان، وخصهم بهذا بأعظم الفضل وأجل النعمة التي تحسدهم عليها يهود".¹ ويقول صاحب التحرير والتنوير في إعراب وبيان بعض مكونات هذه الآية "و" "لو" هنا بمعنى أن

المصدرية ، ولذلك يؤول ما بعدها بمصدر ، وحسدا حال من ضمير (ودّ) أي أن هذا الود لا سبب له إلا الحسد ، لا الرغبة في الكفر. وقوله من عند " من عند أنفسهم" جيء فيه بمن الابتدائية للإشارة إلى تأصل هذا الحسد وصدوره عن نفوسهم ، وأكد ذلك بكلمة "عند" الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه وهو متعلق بـ (حسدا) لا بقوله "ودّ"² فالآية إذن تحمل بتركيبها اللسانية طاقة حجاجية أسهم في تكوينها بيان الرغبة الأثمة لأهل الكتاب بالإضافة إلى بيان أن الدافع إل ذلك هو حسدهم للمؤمنين.

أما سورة آل عمران فقد وردت فيها الفعل "ودّ" مرتين ، الأولى منها في قوله تعالى "وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" آل عمران 69 وهذه الآية كسابقتها تعالج مسألة كيد أهل الكتاب للمؤمنين ورغبتهم في إضلالهم "إن الإحنة التي يكتها أهل الكتاب للجماعة المسلمة هي الإحنة المتعلقة بالعقيدة ، إنهم يكرهون لهذه الأمة أن تهتدي، يكرهون لها أن تفيء إلى عقيدتها الخاصة في قوة ويقين ، ومن ثم يرصدون جهودهم كلها لإضلالها عن هذا المنهج ، والإلواء بها عن هذا الطريق."³ والفعل الكلامي في الشطر الأول من هذه الآية ينتمي إلى مجال الإخباريات ، فهي تقرر حقيقة اليهود وهي رغبتهم النفسية في إضلال المسلمين ، أما الشطر الثاني منها فينتهي إلى مجال الوعديات ذلك أن الآية تضمنت تعهدا من الله تعالى للمؤمنين ألا يصيهم كيد الكائدين ، وأن يرتد عليهم كيدهم (اليهود) ما بقي المسلمون مسلمين.⁴ وقد حملت الآية طاقة حجاجية زاد توكيدها أسلوب القصر.

أما الآية الثانية من سورة آل عمران فهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ" آل عمران 118 تحمل الآية أفعالا كلامية تنتمي إلى مجال التوجيهيات يقول الشيخ ابن عاشور "الآن إذ كشف الله دخائل من حول المسلمين من أهل الكتاب أتم كشف، جاء موقع التحذير من فريق منهم، والتحذير من الاغترار بهم، والنهي عن الإلقاء إليهم بالمودة ، وهؤلاء هم المنافقون... ومعنى اتخاذهم بطانة أنهم كانوا يحالفونهم ويدونهم من قبل الإسلام، فلما أسلم من أسلم من الأنصار بقيت المودة بينهم وبين من كانوا أحلافهم من اليهود ، ثم كان من اليهود من أظهروا الإسلام، ومنهم من بقي على دينه."⁵ وقد ذكرت الآية من كيدهم للمؤمنين " لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم " أي أن هؤلاء المنافقين " لا يقصرون في خبالكم ... والخبال اختلال الأمر وفساده ، ومنه سمي فساد العقل خبالا، وفساد الأعضاء. وقوله "ودوا ما عنتم" الود: المحبة، والعنت : التعب الشديد، أي رغبوا فيما يعنتكم"⁶ والآية كما هو واضح تضمنت فعلا إنجازيا مباشرا هو النهي عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين ، كما تضمنت أفعالا إنجازية غير مباشرة تمثلت في تحول دلالة الخبر فيما بقي من الآية إلى التحذير من المنافقين والنهي عن الإلقاء إليهم بالمودة .

وقد تضمنت سورة النساء أيضا موضعين للفعل الماضي " ودّ " أولهما في قوله تعالى: "وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" النساء 89 وضمير الواو في الفعل " ودوا " كما يرجح المفسرون يعود على المنافقين ، ومضمون الآية –كما في الآيات السابقة –

تحذير من كيد الأعداء فهم "لا يقنعون بما هم عليه من الضلال والغواية بل يطمعون أن تكونوا أمثالهم وتحذوا حذوهم حتى يقضى على الإسلام الذي أنتم عليه، وهذا ما يكون من الغلو والتمادي في الكفر، حيث لا يكتفون بضلالهم بل يرجون إضلال غيرهم."⁷ وقد تضمنت هذه الآية في بدايتها فعلا إنجازيا غير مباشر إذ دلالتة الظاهرة الخبر ، ولكن الغرض منه هو التحذير ، أما المكون الثاني فهو فعل إنجازي مباشر تضمن نهيا عن اتخاذ المنافقين أولياء، يقول سيد قطب " نحس من النهي عن اتخاذ أولياء منهم أنه كانت ما تزال للروابط والوشائج العائلية والقبلية بقايا في نفوس المسلمين في المدينة – وربما كان للمصالح الاقتصادية أيضا – وكان المنهج القرآني يعالج هذه الرواسب، ويقرر للأمة المسلمة قواعد ارتباطاتها، كما يقرر قواعد تصورها في الوقت ذاته"⁸ والآية كما هو واضح تحمل طاقة حجاجية توجه المسلمين إلى الحذر من المنافقين ، وقد تأكد المعنى كما قال الشيخ ابن عاشور بجملة فتكونون سواء ، فهذه الجملة " تفيد تأكيد مضمون قوله "بما كفروا" قصد منها تحذير المسلمين من الوقوع في حباله المنافقين."⁹

وأما الموضع الثاني في سورة النساء ففي قوله تعالى " وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً " هذا جزء من الآية اثنتين ومائة (102) من سورة النساء ، وقد ورد هذا في سياق التحذير من كيد الأعداء، فالآية تخاطب المؤمنين أن أعداءكم " تمنّوا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم التي بها بلاغكم في سفركم بأن تشغلكم صلاتكم عنها فيميلون حينئذ عليكم ويحملون حملة واحدة، وأنتم مشغولون بالصلاة واضعون السلاح تاركون حماية المتاع والزاد فيصيبون منكم غرة فيقتلون من استطاعوا قتله، وينتهبون ما استطاعوا نهبه فلا تغفلوا عنهم."¹⁰ تتضمن الآية فعلا كلاميا ينتهي إلى مجال التوجيهيات ، وقد حملت طاقة حجاجية تتمثل في توجيه المسلمين إلى عدم ترك أسلحتهم حتى وهم يؤدون عبادة الصلاة.

من المواضع التي ورد فيها فعل "ود" ماضيا الآية التي في سورة الممتحنة "إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ" الممتحنة 02 هذه الآية كسابقاتها تنتهي إلى مجال التوجيهيات فهي تنبه المؤمنين إلى ما يضرهم لهم الأعداء من عداوة وبغضاء وسوء ، وذلك أنه "قد يخفى ويظن أن في تطلّب مودة العدو فائدة...{ وقد { يُظن أن موالاتهم من الدهاء والحزم رجاء نفعهم إن دالت لهم الدولة، فبين الله لهم خطأ هذا الظن، وأنهم إن استفادوا من مودتهم إياهم اطلاعا على قوتهم، فتأهبوا لهم وظفروا بهم لم يكونوا ليرقبوا فيهم إلا ولا ذمة"¹¹ " وجملة (ودوا لو تكفرون) حال من ضمير " يكونوا " والواو واو الحال، أي وهم قد ودوا من الآن أن تكفروا فكيف لو يأسرونكم أليس أهم شيء عندهم حينئذ أن يردوكم كفارا "¹² وهذه الجملة وإن كان ظاهرها الخبر فإن السياق حوّلها إلى فعل إنجازي غير مباشر يتمثل في تحذير المؤمنين من كيد الكافرين.

أما الموضوع الأخير من الفعل الماضي "ود" فقد ورد في سورة القلم "فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ" هذه الآية أيضا تنتمي إلى مجال التوجيهيات فقد تضمنت نهيا عن طاعة المشركين " وفيها يكشف الله له {نبيه} عن حقيقة حالهم، وحقيقة مشاعرهم، وهم يخاصمونهم ويجادلونه في الحق الذي، ويرمونهم بما يرمونه، وهم مزعزعو العقيدة فيما لديهم من تصورات الجاهلية، التي يتظاهرون بالتصميم عليها. إنهم على استعداد للتخلي عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه على استعداد أن يدهنوا ويلينوا ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر لكي يدهن هولهم ولين.. فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، وإنما هم أصحاب ظواهر يهتمهم أن يستروها"¹³

مما يمكن استنتاجه مما سبق أن هذا اللفظ بصيغة الماضي لم يرد في القرآن منسوبا إلا إلى أعداء الدين من اليهود والكافرين والمنافقين.

2 - وردت فعلا مضارعا

ورد هذا اللفظ بصيغة المضارع في القرآن الكريم عشر مرات، ثلاث منها كانت في سورة البقرة:

1 - قوله تعالى "وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ" واللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ" البقرة 96 هذه الآية تنتمي إلى مجال الإخباريات، ذلك أنها تخبرنا عن اليهود وتعلقهم بالدنيا فكل منهم يتمنى " أن يبقى على قيد الحياة ألف سنة أو أكثر، لأنه يتوقع سخط الله وعقابه، فيرى أن الدنيا على ما فيها من الآلام والأكدار خير له مما يستيقن وقوعه في الآخرة، والعرب تضرب الألف مثلا للمبالغة في الكثرة"¹⁴ أما الشيخ ابن عاشور فيقول عن التركيب النحوي للآية: " والود المحبة ولو للتمني وهو حكاية للفظ الذي يودون به والمجيء فيه بلفظ الغائب مراعاة للمعنى ويجوز أن تكون لو مصدرية، والتقدير يود أحدهم تعمير ألف سنة... وأصل لو أنه حرف شرط للماضي أو للمستقبل فكان أصل موقعه مع فعل يود ونحوه أنه جملة مبينة لجملة يود على طريقة الإيجاز، والتقدير في مثل هذا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة لما سئم أو لما كره"¹⁵ ولكن هل يجدي أحدهم أن يعمر ألف سنة؟ كلا إن بقاءه في الدنيا لا يزحزحه عن النار، وهو مهما طال بقاءه منتبه ولا بد، ثم يكون مصيره جهنم وبئس المهاد. "واللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ" هذه الجملة تضمنت فعلا إنجازيا غير مباشر، ذلك أنها تضمنت خبرا، ولكنه لا يحمل على الحقيقة بل "هو مستعمل في التهديد والتوبيخ لأن التقدير إذا علم بما يجترحه الذي يعصيه، وأعلمه بأنه علم منه ذلك، علم أن العقاب نازل به لا محالة"¹⁶

2 - قوله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ " 105 هذه الآية كسابقاتها التي تحذر من كيد أهل الكتاب، وهي تنتمي إلى مجال التوجيهيات، وفيها تنبيه إلى أن أهل الكتاب حسدة للمسلمين ولا يودون أن ينزل عليهم خير من ربهم، والكتاب الكريم أعظم الخيرات... وكذلك المشركون إذ يرون في نزول القرآن قوة للإسلام ورسوخا

لقواعده وتثبيتا لأركانه وانتشارا لهديه، وهو يودون أن تدور الدوائر على المسلمين، وينتهي أمرهم إلى زوال.¹⁷ وقد تضمنت الآية فعلا إنجازيا غير مباشر ، ذلك أن الخير بمدلوله المباشر هو "النعمة والفضل، قال النابغة "فلست على خير أذاك بحاسد" وأراد بها هنا النبوءة، وما أيدها من الوحي والقرآن والنصر، وهو المعبر عنه بالرحمة في قوله " والله يختص برحمته ". والآية بما حملت من معان وخاصة لفظا "خير " و"رحمة" ذات بعد حجاجي ، فهي تحمل المسلمين على التمسك بالكتاب الذي أنزل إليهم ، والرحمة التي اختصتهم الله بها ، وعلى الحذر من أعدائهم الذين يحسدونهم بسبب ذلك.

3 - قوله تعالى: أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا

مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ " 266

بعد أن ضرب الله مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الآية التي تسبق هذه ، ضرب الله مثل الذين ينفقون أموالهم رياء أو مع المن والأذى. فقد " وصف الجنة بأعظم ما يحسن به أحوال الجنات، وما يرجى منه توفر ريعها، ثم وصف صاحبها بأقصى صفات الحاجة إلى فائدة جنته، بأنه ذو عيال فهو في حاجة إلى نفعهم وأنهم ضعفاء- أي صغار- إذ الضعيف في لسان العرب هو القاصر ، ويطلق الضعيف عل الفقير أيضا ... وقد أصابه الكبر فلا قدرة له على الكسب غير تلك الجنة، فهذه أشد أحوال الحرص"¹⁸ فماذا كانت النتيجة؟ " أصابها إعصار أي ريح شديدة تقلع الشجر والنبات ، فيها نار أي شدة حرارة - وهي المسماة بريح السموم، فإطلاق نار على شدة الحر تشبيهه بليغ، فأحرقت الجنة - أي أشجارها - أي صارت أعوادها يابسة، فهذا مفاجأة الخيبة في حين رجاء المنفعة"¹⁹ وقد تضمنت الآية أفعالا إنجازية تمثلت في ضرب المثل لمن ينفق ماله رياء "ووجه الشبه هو حصول خيبة ويأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج"²⁰ كما تمثلت في الاستفهام الإنكاري " أيود أحدكم...؟" وقد شحنت هذه الآية بطاقة حجاجية أسهم في تكوينها مجموعة من العناصر أهمها ضرب المثل والاستفهام الإنكاري بالإضافة إلى الإطناب أو التفصيل الذي تضمنته ، يقول الشيخ ابن عاشور "فحصل من تفصيل هذه الحالة أعظم الترقب لثمرة هذه الجنة كما كان المعطي صدقته في ترقب لثوابها"²¹

أما سورة آل عمران فورد فيها هذا الفعل مضارعا مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى " وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ " 30 تنتمي الآية إلى مجال التوجيهيات ، فهي تستجيش القلوب إلى "استحضار اليوم المرهوب ، الذي لا يند فيه عمل ولا نية ، والذي تواجه فيه كل نفس برصيدها كله... وهي تواجه مواجهة تأخذ المسالك على القلب البشري، وتحاصره برصيده من الخير والسوء، وتصور له نفسه وهو يواجه هذا الرصيد، ويود.. لو أن بينه وبين السوء الذي عمله أمدا بعيدا ، أو بينه وبين هذا اليوم كله أمدا بعيدا."²² وقد تضمنت الآية فعلا إنجازيا مباشرا ، تمثل في الإخبار عن يوم القيامة وما يتمنى الكافر فيه ، كما تضمنت فعلا إنجازيا غير مباشر تمثل في التحذير من عقاب الله عز وجل.

أما سورة النساء فورد فيها هذا الفعل مضارعاً مرة واحدة كذلك ، وهذا في قوله " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا 41 يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا 42" هذه الآية تنتمي إلى مجال الإخباريات ، فهي تخبر عن مصير الكفار يوم القيامة ، فإذا جاء ذلك اليوم "يتمنى الذين كفروا، وعصوا الرسول فلم يتبعوا ما جاء أن يصيروا تراباً تسوى بهم الأرض، فيكونوا وإياها سواء." 23 فهو إذن مشهد من مشاهد يوم القيامة "إنها المهانة والخزي، والخجل والندامة ، مع الاعتراف حيث لا جدوى من الإنكار. والسياق القرآني لا يصف هذا كله من الظاهر، إنما يرسم صورة نفسية تتضح بهذا كله، وترسم حوالها تلك الظلال كلها ، ظلال الخزي والمهانة ، والخجل والندامة." 24 وقد حملت الآيتان طاقة حجاجية أسهم في تكوينها عناصر لغوية منها إبدال الضمير من اسم الظاهر "ضمير (بك) واقع موقع الاسم الظاهر لأن مقتضى هذا أن يكون الكلام مسوقاً لجميع الأمة ، فيقتضي أن يقال: وجئنا بالرسول عليهم شهيدا ، فعُدل إلى الخطاب تشريفا للرسول صلى الله عليه وسلم بعز الحضور والإقبال عليه." 25 ومن هذه العناصر أيضا "الاستفهام المستعمل في التعجب تؤذن بحالة مهولة للمشركون وتنادي على حيرتهم ومحاولتهم التملص من العقاب بسلوك طرق إنكار أن يكونوا أُنذروا مما دل عليه مجيء شهيد عليهم " 26 ومنها أيضا لفظ "تسوى" والمقصود " أن ترتفع الأرض ، فتسوى في الارتفاع بأجسادهم، فلا يظهروا، وذلك كناية عن شدة خوفهم وذلمهم، فينقبضون ويتضاءلون حتى يودّوا أن يصيروا غير ظاهرين على الأرض" 27 ومن شأن ذلك كله أن يحمل السامع للاستعداد ليوم القيامة واستشعار ما استشعره الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوء مكانة الشهادة على الناس.

أما سورة الأنفال فقد ورد فيها هذا اللفظ مرة واحدة أيضا ، وذلك في قوله تعالى "وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) تنتمي الآية إلى مجال الإخباريات ، فهي تخاطب المؤمنين أن "اذكروا حين وعد الله إياكم أن إحدى الطائفتين لكم تتسلطون عليها وتتصرفون فيها...{و} تتمنون أن الطائفة غير ذات الشوكة (وهي العير) تكون لكم لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا، وعبر عنها بذلك تعريضا لكرهتهم للقتال وطمعهم في المال" 28 وقد كانت نظرة المسلمين قاصرة ، فأراد الله لهم ما فيه خير الدنيا والآخرة ، قال الزمخشري: "يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور، وألا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم، والله عز وجل يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين ، ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين ، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوتهم بضعفكم ، وغلب كثرتهم بقلبتكم، وأعزكم وأذلهم ، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها." 29 وقد حملت الآية طاقة حجاجية فيها توجيه للمؤمنين إلى أن ما يريده الله خير لهم ، فهم قد أرادوا الغنيمة ، وأراد الله إظهار

أمرهم وخضد شوكة عدوهم ، وإن كان ذلك يحرمهم من الغنى العارض ، فإن أمنهم واطمئنان بهم خير لهم.³⁰

أما في سورة الحجر فورد هذا الفعل مضارعا مرة واحدة كذلك، وذلك في قوله تعالى "رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ" (2) تنتمي الآية إلى مجال الإخباريات ، يقول الشيخ المراغي " هذا إخبار من الله عن الكفار بأنهم سيندمون في الآخرة على ما كانوا عليه من الكفر، ويتمنون أن لو كانوا في الدنيا مسلمين"³¹ وقد تضمنت الآية فعلا إنجازيا غير مباشر ، فالكلام خبر مستعمل في التهديد والتحويل في عدم اتباعهم دين الإسلام. والمعنى: قد يود الذين كفروا لو كانوا أسلموا . والتقليل هنا مستعمل في التهمك والتخويف، أي احذروا وادتكم أن تكونوا مسلمين، فلعلها أن تقع نادرا ، كما يقول العرب في التوبيخ: لعلك ستندم على فعلك، وهم لا يشكون في تدمه. "³² والآية بتركيبها اللغوي حملت طاقة حجاجية فيها تحذير للكافرين " وفيها التهديد الخفي ، والاستهزاء الملفوف ، وفيها كذلك الحث على انتهاز الفرصة المعروضة للإسلام والنجاة قبل أن تضيع"³³

أما في سورة المعارج فورد هذا الفعل مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: "يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ"14" تنتمي الآيات إلى مجال الإخباريات ، فهي تتحدث عن حال الكافر يوم القيامة " إن الهول ليأخذ بحسه، وإن الرعب ليذهب بنفسه، وإنه ليوذ لو يفتدي من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يفتديهم بنفسه في الحياة، ويناضل عنهم، ويعيش لهم..ببنيه ، وزوجه وأخيه، وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه. بل إن لهفته على النجاة لتفقدته الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدي بمن في الأرض جميعا ثم ينجيه .. وهي صورة للهفة الطاغية والفرع المذهل والرغبة الجامحة في الإفلات"³⁴ وقد تضمنت الآيات أفعالا إنجازية مباشرة ، وهي تحمل طاقة حجاجية أسهم في تكوينها التركيب اللغوي للآيات، بالإضافة إلى ألفاظ معينة منها "المجرم" وصفا للكافر، وفي تعريف المجرم أنه هو الذي أتى الذنب العظيم ، وحقيقة الكافر أنه كذلك لأنه لا جرم أعظم من الكفر. ومنها "يفتدي" والفداء كما في لسان العرب "أن تدفع رجلا وتأخذ رجلا"³⁵ ، وهو هنا " ما يُعطى عوضا لإنقاذ من تبعة"³⁶ والكافر يتمنى أن ينقذ نفسه ببنيه وأهله وفصيلته وكل شيء، ولكن لا ينقذه منها شيء.

أما في سورة الأحزاب فقد ورد هذا الفعل مرة واحدة أيضا، وذلك في قوله تعالى "يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يوذوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا"20 تنتمي الآية إلى مجال الإخباريات ، ذلك أنها وردت في سياق الحديث عن غزوة الأحزاب وظن المنافقين أن الأحزاب لا يزالون معسكرين بالمدينة " وإن يأت الأحزاب {كرّة أخرى} يوذ هؤلاء الجبناء لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوما من الأيام ، ويتمنون أن لو كانوا من أعراب البادية، لا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا مصير ... يتمنون هذه الأمنيات المضحكة ، مع أنهم قاعدون بعيدون عن المعركة، لا

يتعرضون لها مباشرة ، إنما هو الخوف من بعيد ، والفرع والهلع من بعيد " وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا"³⁷ وقد حملت الآية طاقة حجاجية ، تمثلت في تمنيمهم أنهم مقيمون في البادية ، كما تمثلت في القصر المفيد لعدم استعداد المنافقين للقتال مع المسلمين. وإذن فهذه الآية تفضح المنافقين وسلوكاتهم ، ودخائلهم مما يحتم على المسلمين الحذر منهم ومن شرهم.

وآخر موضع لهذا الفعل مضارعا ورد في سورة المجادلة وإن كان قد جاء بصيغة "فاعل" وذلك في قوله تعالى "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" 22 تنتهي الآية إلى مجال التوجيهيات ، فقد تضمنت نهيا عن موالاة المشركين والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يتمتع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتباس من مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله " ولو كانوا آباءهم"³⁸ جاء في ظلال القرآن: "فروابط الدم والقرباة هذه تتقطع عند حد الإيمان، إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن محادة ، وخصومة بين اللوآئين: لواء الله ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد"³⁹ وقد تضمنت الآية نهيا جاء في صورة خبر ، وهو ما يعني أن هناك تحويلا في الدلالة جعل الفعل الإنجازي غير مباشر . وقد حمل الفعل "يوادون" طاقة حجاجية، فهو من المفاعلة " والموادة أصلها حصول المودة في جانبين. والنهي هنا إنما هو عن مودة المؤمن الكافرين لا عن مقابلة الكافر المؤمنين بالمودة، وإنما جيء بصيغة المفاعلة هنا اعتبارا بأن شأن الود أن يجلب ودا من المودود للواد"⁴⁰

وبعد استعراضنا للآيات التي ورد فيها لفظ " يودّ " مضارعا وجدنا هذا الفعل قد نسب إلى الكفار والمنافقين في أكثر الأحيان ، وإذا نسب إلى المسلمين فإن ذلك يكون في الموضع غير المرغوب فيه كما في سورة الأنفال وسورة المجادلة.

3 – وروده مصدرا ميميا

ورد هذا اللفظ ثمان مرات في القرآن الكريم، وهي كما يلي:

الموضع الأول ورد في سورة النساء في قوله تعالى: "وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73)" الحديث هنا عن المنافقين وضعاف الإيمان فهم إذا أصاب المسلمين مصيبة أو هزيمة قال أحدهم "قد أنعم الله عليّ بالعود ، فلم أكن حاضرا معهم فيصيبني مثل ما أصابهم من البلاء والشدة"⁴¹ أما إذا كان العكس فأصابكم أيها المسلمون فضل وخير وغنائم "ومن الله عليكم بالظفر وفتح البلاد فغنمتم وأخذتم السبايا والأسرى ليقولن قول من ليس

منكم ومن لم تجمععه مودة بكم ليتني كنت معهم فأفوز كما فازوا ، فهو قد نسي ما يجب عليه من مد يد المعونة إليكم وبذل كل ما يمكنه من نفس أو مال ليتّم ذلك الظفر"⁴² هذه الآية تنتمي إلى مجال التوجيهيات فهي وإن كان ظاهرها الخبر لكن فيها تحذيرا من هذه الفئة المثبطة المعوقة التي تبعث الوهن في المجتمع المسلم. لقد سعت التربية الإسلامية إلى رفع المسلم درجة يتسامى فيها عن حظوظه الصغيرة، فهو "إذا نُدب للجهاد خرج غير متثاقل ، خرج يسأل الله إحدى الحسنين : النصر أو الشهادة ، وكلاهما فضل من الله ، وكلاهما فوز عظيم ... هذا هو الأفق الذي أراد الله أن يرفع المسلمين إليه، وهو يرسم لهم هذه الصورة المنفرة لذلك الفريق "منهم" ، وهو يكشف لهم عن المندسين في الصف من المعوقين، ليأخذوا منهم حذرهم ، كما يأخذون حذرهم من أعدائهم"⁴³

أما الموضع الثاني فقد ورد في سورة المائدة في قوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" 82 لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة عداوة اليهود والمشركين للمسلمين ، أردف ذلك بإيضاح موقف بعض النصارى من المسلمين "إن الحالة التي تصورها هذه الآيات هي حالة فئة من الناس، قالوا إنا نصارى ، هم أقرب مودة للذين آمنوا " ذلك بأن قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون." فمنهم من يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم...فهذا مشهد حي يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس، الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا، إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم ، ولانت قلوبهم ، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثير العميق العنيف بالحق الذي سمعوه."⁴⁴ ومما سجله القرآن عن هؤلاء أنهم "لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع ، ولا يقفون موقفاً سلبياً من الحق الذي تأثروا به هذا التأثير عند سماع القرآن...إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفاً إيجابياً صريحاً ، موقف القبول لهذا الحق، والإيمان به والإذعان لسلطانه."⁴⁵ وهذه الآية تنتمي إلى مجال الإخباريات، وقد تضمنت طاقة حجاجية فيها توجيه للمسلمين ليعرفوا حقيقة من يعيشون معهم من اليهود والنصارى.

وأما الموضع الثالث فقد ورد في سورة العنكبوت في قوله تعالى :: وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ" العنكبوت 25 تنتمي الآية إلى مجال الإخباريات ، فهي تروي قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه فقد قال لهم "إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله، لا اعتقاداً واقتناعاً بأحقية هذه العبادة، إنما يجمال بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ويوافق بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، على هذه العبادة، ولا يريد صاحب أن يترك عبادة صاحبه- حين يظهر الحق له - استبقاء لما بينكم من مودة على حساب الحق والعقيدة ! "⁴⁶ أما في الآخرة فإن ما ينتظرهم أشد وأنكى، إذ "تنعكس الحال يوم القيامة، فتقلب الصداقة والمودة بغضاً وشنأنا وتتجاهدون ما كان بينكم ويلعن بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، ، فيلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون الأتباع كما قال

"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" ثم مرجعكم إلى النار ، وما لكم من ناصر ينصركم ، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله.⁴⁷ وقد تضمنت الآية أفعالا إنجازية مباشرة تقرر حقيقة ما بين الكفار من علاقات في الدنيا وكيف تنقلب هذه العلاقات إلى بغضاء وشنآن في الآخرة.

أما الموضع الرابع فقد ورد في سورة الروم في قوله تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)" تنتمي هذه الآية إلى مجال الإخباريات ، وفيها "عظة وتذكير بنظام الناس العام ، وهو نظام الازدواج وكيونة العائلة وأساس التناسل ، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبل لا يشذ عنه إلا الشُّذاذ.⁴⁸" والخطاب في قوله "أن خلق لكم" لجميع نوع الإنسان الذكور والإناث ... والسكون هنا مستعار للتأنس وفرح النفس، لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم، كما قالوا: اطمأن إلى كذا وانقطع إلى كذا. وضمّن "لتسكنوا" معنى لتميلوا فعدي بحرف "إلى" وإن كان حقه أن يعلق بـ "عند" ونحوها من الظروف . والمودة: المحبة ، والرحمة: صفة تبعث على حسن المعاملة⁴⁹ ويتأمل سيد قطب هذه الآية " والتعبير القرآني اللطيف يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس "لتسكنوا إليها " وجعل بينكم مودة ورحمة"⁵⁰ وقد حملت الآية طاقة حجاجية أسهم في تكوينها عناصر لغوية منها خاصة لفظتا "مودة" و"رحمة" اللتان أودعهما الله كلا من الزوجين لتحديث الألفة والاستقرار وتستمر الحياة بينهما.

أما الموضع الخامس فقد ورد في سورة الشورى في قوله تعالى "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)" هذه الآية تنتمي إلى مجال التوجيهيات إذ فيها توجيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي في مناسبتها أن المشركين اجتمعوا في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون محمدا يسأل على ما تعاطاه أجرا ، فنزلت هذه الآية . وكان موقعها هنا لمناسبة ما سبق من حجاج المشركين وعنادهم فإن مناسبتها لما معها من الآيات موجودة إذ هي من جملة ما واجه به القرآن محاجة المشركين، ونفى به أوهامهم ، واستفتح بصائرهم إلى النظر في علامات صدق الرسول.⁵¹ ومعنى هذه الآية أن تكون إجابة الرسول عليه الصلاة والسلام "لا أسألكم على القرآن جزاء إلا أن تودوني، أي أن تعاملوني معاملة الودّ، أي غير معاملة العداوة، لأجل القرابة التي بيننا في النسب القرشي."⁵² وقد تضمنت الآية فعلا إنجازيا غير مباشر "فالكلام على تقدير مضاف أي معاملة المودة ، أي المعاملة بقرينة أن المحبة لا تُسأل لأنها انبعاث وانفعال نفساني."⁵³ وقد حملت الآية طاقة حجاجية بما تضمنته من عناصر لغوية، وخاصة لفظة "المودة" التي جاء ذكرها في السياق ليكتنف الدلالة ، ويجعل المتلقين (وهم هنا المشركون) يستجيبون لسؤاله.

وقد تضمنت سورة الممتحنة ثلاثة مواضع للفظ المودة منها في البداية موضعان ، وذلك في قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) تنتهي هذه الآية إلى مجال التوجيهيات فهي توجه المسلمين إلى كيفية التعامل مع الأعداء وألا يوالوا الكافرين ، ومعنى الآية أن "لا يقع منكم اتخاذ عدوي وعدوكم أولياء ومودتهم، مع أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وأخرجوكم لأجل إيمانكم. إن كنتم خرجتم من بلادكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فكيف توالون من أخرجوكم وكان إخراجهم إياكم لأجلي وأنا ربكم"⁵⁴ وقد تضمنت الآية في البداية فعلا إنجازيا مباشرا تمثل في نهى المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، كما تضمنت أفعالا إنجازية غير مباشرة تمثلت في التحذير الخفي "وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم " كما تضمنت تهديدا مخيفا يثير في القلب المؤمن الوجل والمخافة "ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل."⁵⁵

أما الموضع الثالث في سورة "المتحنة" فهو قوله تعالى "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" 7 هذه الآية تنتهي إلى مجال الوعديات ، فمضمونها "خوطف به المؤمنون تسلية لهم على ما نُهَووا عنه من مواصلة أقربائهم، بأن يرجوا من الله أن يجعل قطيعتهم آيلة إلى مودة بأن يسلم المشركون من قرابة المؤمنين ، وقد حقق الله ذلك يوم فتح مكة"⁵⁶ ويقول سيد قطب "وهذا الرجاء من الله، معناه القطع بتحقيقه. والمؤمنون الذين سمعوه لا بد قد أيقنوا به، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة ، وأن أسلمت قريش، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد، وأن طويت الثارات والمواجد، وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب"⁵⁷ وقد تضمنت هذه الآية فعلا إنجازيا غير مباشر ، يقول الزمخشري "وعسى " وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل ، فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك"⁵⁸ وقد حملت الآية طاقة حجاجية فهي تبعث الأمل في نفوس المؤمنين بأن تتحول عداوة الأعداء إلى مودة، ويؤكد هذا الوعد بجملة "والله قدير " والمعنى أنه شديد القدرة على أن يغير الأحوال فيصير المشركون مؤمنين صادقين وتصيرون أوداء لهم."⁵⁹

4 - المصدر: وُدّ

ورد هذا اللفظ بصيغة المصدر مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا" مريم(96)تنتهي هذه الآية إلى مجال الوعديات ، لكن العلماء اختلفوا في تفسيرها ، فقد ذهب بعضهم إلى أن الود يجعله الله للمؤمنين في الدنيا ، يقول سيد قطب: "وللتعبير بالود في هذا الجو ندوة رحية تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس، وهو ودّ يشيع في المألأ الأعلى ، ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلئ به الكون ويفيض. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل ، فقال: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه ، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في

الأرض...⁶⁰ وذهب فريق آخر إلى أن الودَّ يُجعل للمؤمنين في الآخرة، ومن هؤلاء الشيخ ابن عاشور الذي يقول " لما خُتِمت الآية قبلها بأن المشركين آتون يوم القيامة مفردين، وكان ذلك مشعرا بأنهم آتون إلى ما من شأنه أن يتمنى المورط فيه من يدفع عنه وينصره ، وإشعار ذلك بأنهم مغضوب عليهم، أعقب ذلك بذكر حال المؤمنين الصالحين. وأنهم على العكس من حال المشركين، وأنهم يكونون يومئذ بمقام المودة والتبجيل."⁶¹ وقد حملت الآية طاقة حجاجية تدفع المؤمنين إلى استشعار نعمة الله بما سيجعل لهم من الود، وقد فسر الجعل بالإلقاء كما في قوله تعالى "وألقيت عليك محبة مني"⁶²

5 - صيغة المبالغة "ودود"

وقد وردت في موضعين: الأول منهما في سورة هود في قوله تعالى "وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)" تنتمي الآيتان إلى مجال التوجيهيات ، فقد تضمنت الآية الأولى نهيا والثانية أمرا ، وقد خاطب فيهما شعيب قومه بقوله "لا يحملنكم الخلاف معي والعناد في مواجهتي على أن تلجوا في التكذيب والمخالفة، خشية أن يصيبكم ما أصاب الأقوام قبلكم. وهؤلاء قوم لوط قريب منكم في المكان . وقريب كذلك في الزمان ، فمدین كانت بين الحجاز والشام. ثم يفتح لهم، وهم في مواجهة العذاب والهلاك باب المغفرة، ويطمئئهم في رحمة الله والقرب منه بأرق الألفاظ وأحناها."⁶³ أما الحكمة من ورود جملة "إن ربي رحيم ودود" فهي أنها تعليل للأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا⁶⁴ ويلاحظ أن الجملة الأخيرة تحمل طاقة حجاجية كبيرة بما تستميل به قلوب المخاطبين، فشعيب بعد أن دعا قومه إلى استغفار ربهم ، ولفظ "الرب" له دلالاته في الخلق والرزق والرعاية...إلخ ، ضمّن تعليله بأن من يستغفرونه رحيم ودود، ومن معاني "ودود" أنها على وزن "فعول" بمعنى فاعل أي يحب عباده الصالحين، بمعنى يرضى عنهم.⁶⁵

وأما الموضع الثاني فقد ورد في سورة البروج في قوله تعالى "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)" تنتمي الآيات إلى مجال الإخباريات ، فقد أخبرت ببطش الله بأعدائه من جانب، كما أخبرت بمغفرته ووده للمؤمنين جانب آخر، يقول صاحب الكشاف: "البطش: الأخذ بالعنف ، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطش بالجسارة والظلمة ، وأخذهم بالعذاب والانتقام "إنه هو يبدئ" أي يبدئ البطش ويعيده. يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، وأوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبداهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء ، وكذبوا بالإعادة ... "الودود" الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا.⁶⁶ وتحمل آية "وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ" طاقة حجاجية بما تفتح من أبواب الرجاء للمؤمنين ، فصفة "الودود" توحى بشدة محبة الله تعالى لمن تابوا وأقبلوا عليه.

خاتمة

هكذا رأينا من خلال استعراضنا لمادة "ودد" أنها وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ثمانية وعشرين مرة ، كان أكثرها ورودا الفعل المضارع إذ ورد عشر مرات، وقد جاءت دلالاته سلبية سواء أكانت نسبته للكافرين والمنافقين فهم لا يضمرون إلا السوء والأذى للمسلمين، أو كانت نسبته للمسلمين فإنه ورد بالمعنى السلبي كما في الأنفال أو المجادلة. ثم جاء في المرتبة الثانية المصدر الميمي ، إذ ورد ثمان مرات ، أما دلالاته فكانت مختلفة ، منها السلبي كما في سورة النساء والعنكبوت والممتحنة ، ومنها غير ذلك . ثم جاء في المرتبة الثالثة بصيغة الفعل الماضي وقد ورد سبع مرات ، ويلاحظ أنه جاء منسوبا إلى أعداء الدين من المشركين واليهود والمنافقين. ثم جاء في المرتبة الرابعة بصيغة المبالغة مرتين وكان في كليهما صفة من صفات الله الحسنى. وجاء في المرتبة الأخيرة بصيغة المصدر مرة واحدة ، وقد جاءت دلالاته إيجابية. ومن خلال تحليلنا للسياقات التي وردت فيها هذه المادة وجدناها حاملة لطاقة حجاجية فيها استمالة للمؤمنين وتوجيه لهم تارة، وفيها تحذير لغيرهم من الكفار تارة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، 1984.
- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1946.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط 32، 2003 .
- الزمخشري ، الكشاف، مكتبة العبيكان الرياض ، ط1، 1998 .
- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، نشر دار صادر، ط6، 1997.
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945 .

الهوامش:

- ¹ في ظلال القرآن ص 102
- ² التحرير والتنوير ج1 ص 670
- ³ في ظلال القرآن ص 413
- ⁴ في ظلال القرآن ص 414
- ⁵ التحرير والتنوير ج4 ص 62
- ⁶ التحرير والتنوير ج4 ص 64
- ⁷ تفسير المراغي ج 5 ص 116
- ⁸ في ظلال القرآن ص 732
- ⁹ التحرير والتنوير ج5 ص 152
- ¹⁰ تفسير المراغي ج5 ص 141
- ¹¹ التحرير والتنوير ج28 ص 139

- ¹² المرجع نفسه ج 28 ص 140
- ¹³ في ظلال القرآن ص 3658
- ¹⁴ تفسير المراغي ج 1 ص 166
- ¹⁵ التحرير والتنوير ج 1 ص 618
- ¹⁶ المرجع نفسه ج 1 ص 619
- ¹⁷ انظر تفسير المراغي ج 1 ص 178
- ¹⁸ التحرير والتنوير ج 3 ص 54
- ¹⁹ المرجع نفسه ج 3 ص 54
- ²⁰ المرجع نفسه والصفحة نفسها
- ²¹ المرجع نفسه والصفحة نفسها
- ²² في ظلال القرآن ص 386
- ²³ المراغي ج 5 ص 44
- ²⁴ في ظلال القرآن ص 662
- ²⁵ التحرير والتنوير ج 5 ص 56
- ²⁶ المرجع نفسه ج 5 ص 57
- ²⁷ المرجع نفسه ج 5 ص 59
- ²⁸ المراغي ج 9 ص 170
- ²⁹ الكشف ج 2 ص 556
- ³⁰ التحرير والتنوير ج 9 ص 272
- ³¹ المراغي ج 14 ص 4
- ³² التحرير والتنوير ج 14 ص 11
- ³³ في ظلال القرآن ص 2126
- ³⁴ المرجع نفسه ص 3697
- ³⁵ لسان العرب ، مادة فدى
- ³⁶ التحرير والتنوير ج 29 ص 161
- ³⁷ في ظلال القرآن ص 2841
- ³⁸ الكشف ج 6 ص 71
- ³⁹ في ظلال القرآن ص 3515
- ⁴⁰ التحرير والتنوير ج 28 ص 58
- ⁴¹ المراغي ج 5 ص 89
- ⁴² المرجع نفسه والصفحة نفسها
- ⁴³ في ظلال القرآن ص 707
- ⁴⁴ في ظلال القرآن ص 962

⁴⁵ المرجع نفسه والصفحة نفسها

⁴⁶ المرجع نفسه ص 2732

⁴⁷ المراغي ج 20 ص 130-131

⁴⁸ التحرير والتنوير ج 21 ص 70-71

⁴⁹ المرجع نفسه ج 21 ص 72

⁵⁰ في ظلال القرآن 2763

⁵¹ انظر التحرير والتنوير ج 25 ص 81

⁵² المرجع نفسه ج 25 ص 82

⁵³ المرجع نفسه والصفحة نفسها

⁵⁴ التحرير والتنوير ج 28 ص 137

⁵⁵ انظر في ظلال القرآن ص 3541

⁵⁶ التحرير والتنوير ج 28 ص 150

⁵⁷ في ظلال القرآن ص 3544

⁵⁸ الكشف ج 6 ص 93

⁵⁹ التحرير والتنوير ج 28 ص 151

⁶⁰ في ظلال القرآن ص 2321

⁶¹ التحرير والتنوير ج 16 ص 174

⁶² انظر المرجع نفسه ج 16 ص 175

⁶³ في ظلال القرآن ص 1921

⁶⁴ انظر التحرير والتنوير

⁶⁵ انظر لسان العرب مادة "ودد"

⁶⁶ الكشف ج 6 ص 350